ديوان مجد الاسلام

المرحوم الشاعر أحمد محرم

بقلم الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

{ تابع }

اليهود والمنافقون (١)

دعا فأجابوا ، والقلوب صوادف ... وقالوا استقمنا والهوى متجانف (٢)
مضى العهد لا حرب تقام ولا أذى ... يرام ، ولا بنى عن الحق صارف
لهم دمهم والدين والمال ما وفوا ... فإن غدروا فالسيف واف مساعف
سياسة من لا يخدع القول رأيه ... ولا يزدهيه باطل منه زائف
رسول له من حكمة الوحى عاصم ... ومن نوره فى ظلمة الرأى كاشف
يسالم من أحبارهم وسراتهم ... رجالا ، لهم فى السلم رأى مخالف
يغيظهم الإسلام ، حتى كأنما ... هو الموت أو عاد من الخطب جارف
إذا هتف الداعى به اهتاج ناقم ... وأعول محزون ، وأجفل خائف
إذا ما تردى فى الضلالة جاهل ... فاعذر من يأبى الهدى وهو عارف ؟
يقولون قول الزور — لا علم عندنا ... كفى القوم علما ما تضم المصاحف
لهم من سنا التوراة هاد وللعمى ... ركام على أبصارهم متكاثف
دنا الحق من بهتانهم ورمى بهم ... إلى الأمد الأقصى هوى متقاذف
عنا ابن أبى من هوى التاج لاعج ... وطاف به من نشوة الملك طائف
جرى را كضا مل العنانين فانتحى ... له قدر ألقى به وهو راسف (٣)
فما مثله فى مشهد الإفك فارح ... ولا مثله فى مشهد الحق آسف
ظنون يعفيها (٤) اليقين ، ودولة ... من الوهم تذروها الرياح العواصف
يهيب بأضغان اليهود ، تشبها ... عداوة قوم شرعم متضاعف
وما برح الجبر السمين (٥) يغرهم ... ويأكل من أموالهم ما يصادف
أعدوا له المرعى فراح مهبلا (٦) ... كظنك بالخنزير واتاه عالف
ينوء بجنبيه ، ويرتج ماشيا ... إذا اضطربت منه الشوى والروانف (٧)
رماهم بها عمياء ، لم يرم معشرا ... بأمثالها أحبارهم والأساقف
فقالوا غوى ابن الصلت وانفض جمعهم ... يريدون (كعبا) وهو خزيان كاسف
رمى (الصادق الهادى) لفيفة نفسه ... بصادعة تنشق منها اللفائف (٨)
فأما (لبيد (٩)) فاستعان بسحره ... رويدا أخا (هاروت) تلك الطرائف

---

(١) لما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، دعا اليهود وصالحهم على ترك الحرب والأذى ، لا يحاربهم ولا يؤذيهم ، ولا يعينون عليه أحدا ، وإن دهمه عدو ينصرونه ، ثم أقرهم على دينهم وأموالهم ، فلما انتصر الإسلام كرهوا ذلك فانتقضوا ، وفى ذلك نزل قوله تعالى (قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر) ولما نزلت (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له — الآية) قال قائلهم — حيي ابن أخطب فى رواية : يستقرضنا ربنا ، وإنما يستقرض الفقير الغنى ، فأنزل الله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء — الآية) وكانوا يسألون النبي عن الروح ، ويقولون مم خلق الله ؟ أنسب لنا ربك . يريدون تعجيزه وإثارته

وكان من عظمائهم وأحبارهم حيي ، وأبو ياسر ، وجدى — بنو أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وكعب بن الأشراف ، وعبد الله بن صوريا ، ولبيد بن الأعصم ، ورفاعة بن قيس ، وعبد الله ابن سلام

وكان حيي بن أخطب عظيم بنى النضير ، وهو أبو السيدة صفية أم المؤمنين رضى الله عنها ، وكانت من سبايا النبي فى غزوة خيبر بعد قتل أبيها ، وزوجها كنانة بن الربيع ، جعلها النبي عند أم سليم ، أم أنس — حتى اعتدت وأسلمت ، ثم أعتقها وتزوجها

وقد انضم المنافقون من أهل المدينة إلى اليهود ، وكان عبد الله بن أبى ابن سلول كبيرهم ، وهو يومئذ من أعظم أشراف المدينة ، وكانوا يريدون تتويجه ملكا عليهم ، فلما ظهر الحق على يد الرسول الكريم خاب أمله ، وعظم غيظه وحقده

والمنافقون قوم من اليهود ، دخلوا فى الإسلام لما لوى أمره خشية القتل ، وبقى هواهم مع قومهم

(٢) المتجانف المائل (نعيم)

(٣) رسف الرجل معنى مشى المقيد

(٤) يمحوها من عفت الريح المنزل والأثر

(٥) هو مالك بن الصلت من أحبارهم ، كان يبغض النبي بغضا شديدا ويلبس على اليهود فيأخذ أموالهم . قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنشدك الله ، ألبس فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين ، إنك الحبر السمين ، سمعت من القال الذى يسمعك اليهود ، فغضب والتفت إلى عمر قائلا : ما أنزل الله على بشر من شئ ، فكان هذا كفرا منه بموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء والمرسلين ، وعلم اليهود فنزعوا منه الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف

(٦) المهزل السكثير اللحم

(٧) الشوى اليدان والرجلان والأطراف ، والروانف أسافل الإلية للقائم

(٨) جمع لفيفة ما يلف به الرجل وغيره ، والمعنى ظاهر

(٩) لبيد بن الأعصم ، قيل إنه عمل سحرا للنبي ، اتخذ له مثالا على صورته من شمع ، وقيل من عجين ، ثم غرز فيه إبرا ، وجعل معه وترا عقد فيه إحدى عشرة عقدة ، وكان للنبي خادم يهودى حل شيئا من شعره الشريف إلى لبيد ، فصنع السحر ووضعه فى بئر (ذروان) ونزل جبريل فأخبر النبي فأرسل عليا وعمار بن ياسر فاستخرجاه من البئر

أعندك أن السحر لله غالب ... تأمل لبيد أى مهوى تشارف[١٠]
و (شاس بن قيس) هاجها جاهلية ... الذكر تطيرها الحلام الرواجف
يقلب بين الأوس والخزرج الثرى ... وقد وشجت فيه العروق العواطف
يذكرهم (يوم البعاث) وما جنت ... رقاق المواضى والرماح الرواعف
غلت نخوات القوم مما استفزهم ... وراجعهم من عازب الرأى سالف
وخفوا يريدون القتال، فردهم ... نبى يرد الشر والشر زاحف
دعاهم إلى الحسنى، فأقبل بعضهم ... يعانق بعضا، والدموع ذوارف
أتى ابن سلام[١١] يؤثر الحق ملة ... وينظر ما تأتى النفوس العوازف
تسلل يستخفى، وأقبل قومه ... وللؤم منهم ما تضم الملاحف
فقيل اشهدوا؛ قالوا: عرفنا سيدا ... تجل مساعيه، وتعلو المواقف
هو المرء، لا نأبى من الدين ما ارتضى
ولا ندع الأمر الذى هو آلف
فلما رأوه خارجا، ينطق التى ... هى الحق قالوا: عاثر الرأى عاسف
ظننا به خيرا، ولا خير فى امرئ ... أبوه أبو سوء على الشر عاكف
ظلمناه لم يوصف بما هو أهله ... فماذا له إن أخطأ الرشد واصف؟
تراموا بألقاب[١٢] إذا ما تتابعت ... تتابع شؤبوب[١٣] من الدم واكف
أهاب أبو أيوب ردوا حلومكم ... أعند رسول الله تكنى الآزف[١٤]
وقال (الرسول) استشعروا[١٥] الحلم إنما
يسود ... ويستعلى الحليم الملاطف
أتؤذون (عبد الله) أن يتبع الهدى ... فيا ويحه من مؤمن، ما يقارف[١٦]
أهذا هو العهد الذى كان بيننا ... أهذا الذى يجنى العقيد المحالف[١٧]
تولوا غضابا، ما ثنوب[١٨] نفوسهم
ولا ترعوى أحقادهم والكتائف[١٩]
يذيعون مكروه الحديث وما عسى ... يقولون والفرقان بالحق هاتف؟
إذا بعثوا من باطل القول فتنة ... تلقفها من صادق الوحى خاطف
يشايعهم فى القوم كل منافق ... إلى كل ذى مشنوءة[٢٠] هو دالف
شديد الأذى يبدى من القول زخرفا ... وكالسم منه ما توارى الزخارف
زحالف سوء ما يكف دبيبها
وأهون شئ أن تدب الزحالف[٢١]
أقاموا على ظلم، كأن لم يكن لهم ... من العدل يوما لا محالة آزف
لكل أناس يعكفون على الأذى ... معاطب من أخلاقهم ومتالف
رويد يهود؛ هل لها فى حصونها ... من البأس إلا ما تظن السلاحف
يظنون أن لن ينسف الله ما بنوا ... ولن يثبت البنيان والله ناسف
سيلقون بؤسا بعد أمن ونعمة
فلا العيش فياح[٢٢] ولا الظل وارف[٢٣]

(يتبع)

(١٠) شارف الرجل الشئ اطلع عليه من فوق

(١١) كان شاس بن قيس شديد الطعن على المسلمين، شديد الحسد لهم، مر يوما على الأنصار وهم مجتمعون يتحدثون فناظمه ما رآى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة، فقال: قد اجتمع بنو قيلة، والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار، ثم أمر فتى من اليهود فقال: اعمد إليهم، واجلس معهم، ثم اذكر يوم بعاث — يوم الحرب التى كانت بينهم — وما كان فيه، وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار ففعل، وثارت نفوسهم فتأهبوا للقتال. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فى من معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال: — يامعشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وألفكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر الخ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج. ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فى شاس بن قيس (يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا — الآية)

(١٢) جاء النبى فى دار أبى أيوب فأسلم وكتم إسلامه عن اليهود ورجع فقال: لقد علموا أنى سيدهم وابن سيدهم. وأعلمهم وابن أعلمهم، فأخشى يارسول الله قبل أن يدخلوا عليك ثم ادعهم فاسألهم عنى. وخذ عليهم ميثاقا أنى إذا اتبعتك. وآمنت بك اتبعوك وآمنوا. فأرسل إليهم فجاءوا. وقال لهم. يا معشر يهود. اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا. وأنى جئتكم بحق. أسلموا. فأبوا. قال فأى رجل فيكم ابن سلام؟ قالوا سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: أرأيتم ان أنى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل =

= على تؤمنوا بى. قالوا: نعم. فدعاه فقال يا ابن سلام أخرج إليهم فخرج وأظهر إسلامه. ثم دعاهم الى الإسلام. وطفق يؤنبهم لإنكار ما علموا من أمر النبوة فى التوراة. فقالوا: كذبت أنت شرنا وابن شرنا. وزلت فى ذلك (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به. وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم. ان الله لا يهدى القوم الظالمين — الآية)

(١٠) الألقاب المكروهة يتنابز بها القوم
(١٤) الشؤبوب الدفعة من المطر
(١٥) الأقذار
(١٦) استشعر الرجل الشئ جعله شعاره
(١٧) قارف الذنب خالطه
(١٨) المعاقد والمعاهد
(١٩) تاب رجع بعد ذهابه
(٢٠) جمع كتيفة. الضغينة والحقد
(٢١) المشنوءة البغض والعداوة
(٢٢) دواب صغار لها أرجل تمشى شبه النمل
(٢٣) الفياح الواسع
(٢٤) وورف الظل اتسع وطال وامتد